الفصل الثالث

الاعتـــذار إلى الأنبيــــاء

المبحث الأول

اعتذار موسى إلى الخضر عليه السلام

سبق وأن جاء الإيضاح والبيان في رحلة موسى عليه السلام مع فتاه طلباً للخضر[1]، تعطُشاً وشوقاً للعلم الذي آتاه الله إياه، وقد شاء الله ذلك وتم اللقاء، وهذا ما سيكون عليه البيان في هذا الاعتذار.

حينما التقى موسى عليه السلام بالخضر تمّ التعارف بينهما، وسأله موسى عليه السلام سؤال تلطف وامتنان أن يتَّبعه؛ ليعلمه مما علمه الله رشدا، فاعتذر الخضر لما تحتاجه متابعته من صبر وأناة، ففي السير معه كثير من الغرائب والمفاجآت، لكن موسى عليه السلام أصرَّ على متابعته مستعيناً بالله تعالى ومؤملاً أن يلهمه الصبر والثبات، فاشترط عليه الخضر:

﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ٧٠﴾[الكهف:70]، فلا يسأل موسى الخضر عن شيءٍ حتى يكون الخضر هو المبين له.

"فانطلقا" وتبدأ هذه الرحلة والأحداث بهذه الكلمة المعبرة عن السير للهدف: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ٧١﴾[الكهف:71]، وهكذا كان شأن كل منهما، فقد كان موسى عليه السلام يترقب ما الذي يتعلمه من العبد الصالح، والعبد الصالح يترقب ما الذي سيكون من موسى عليه السلام، فينطلقا جميعاً على ساحل البحر ينتظران مركباً، فمرت سفينة فعرفت الخضر فأركبوهما من غير أُجرة، إجلالاً وإكراماً للخضر، وهذا فيه دلالةً على أن عباد الله الصالحين يسخر الله لهم من يحبهم

---

[1] ...

ويعطيهم ويمنحهم فضلاً من الله تبارك وتعالى عليهم، وفجأةً وإذا بالخضر يخرق السفينة، فاشتاط موسى غضباً وقال منكراً:﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ٧١﴾[الكهف:71]، ويُذكّر العبد الصالح موسى عليه السلام بالاتفاق بينهما عند اللقاء، فيعتذر موسى عليه السلام:﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ٧٣﴾[الكهف:73]، فيعفو عنه الخضر ويصفح، ويعاودان السير لكنهما في البر لا في البحر، حتى إذا لقيا غلاماً يلعب مع أقرانه، أخذه الخضر من بينهم وقتله، وهنا غضب موسى عليه السلام أشد الغضب، وحزن على موت هذا الغلام، فقال منكراً على الخضر: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ٧٤﴾[الكهف:74]، ولئن أنكر موسى عليه السلام من قبل على فعل الخضر بقوله: "إمرا" فإنه ينكر الآن بقوله"نُكرا"؛ لفظاعة الأمر، فالقتل لا يمكن تداركه بخلاف نزع اللوح من السفينة، فإنه يمكن بإرجاعه تداركه.

فيعاتبه الخضر بنبرات أقوى من ذي قبل: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٧٥﴾[الكهف:75]، فيبادر موسى بالاعتذار: ﴿ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ٧٦﴾[الكهف:76]، ويعِدهُ بأن تكون هذه المرة الأخيرة في الاعتراض، وإن يكن شيء فلتكن النهاية، ويقبل الخضر اعتذاره ويمضيا جميعاً مرةً أخرى، حتى إذا جاءا أهل قريةٍ طلبا من أهلها طعاماً، امتنع أهل القرية من ذلك، فوجد الخضر في القرية حائطاً مائلاً قارب الهدم فسوّاه الخضر حتى استقام، فقال موسى للخضر: ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ٧٧﴾[الكهف:77]، فحينئذ لم يف موسى عليه السلام بما قال، واستعذر الخضر منه: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٧٨﴾[الكهف:78]، وكانت المكاشفة لما كان قبل المفارقة، وهذا ما أوضحته باقي الآيات في سورة الكهف.[1]

---

[1] جامع البيان (15/ 339)، لطائف الإشارات (2/ 410)، الكشاف (2/ 735)، الجامع لأحكام القرآن (11/ 18)، التحرير والتنوير (15/ 376)، تفسير المراغي (16/ 4).

شذرات في اعتذار موسى للخضر عليهما السلام:

1. في أول مرة اعترض فيها موسى عليه السلام على الخضر اعترف بخطئه ونسيانه، وكان قد نسي التزامه لما غشي ذهنه من مشاهدة ما ينكره، وهكذا قد ينسى الإنسان خيراً لانشغاله بخير.

2. عذر الناسي فلا حيلة له بالنسيان، فلإنسان غير معصوم ومن النسيان غير معدوم.

3. استخدم موسى عليه السلام النهي بالمؤاخذة بالنسيان"لا تُؤاخذني" استعطافاً للخضر؛ لأنه قد يؤاخذه على النسيان مؤاخذة من لا يصلح للمصاحبة.

4. بنا موسى عليه السلام اعتذاره على المؤاخذة بالنسيان، ولم يبن على الاعتذار بالنسيان، لسوء صحبة من يطرأ عليه النسيان.

5. قبول الخضر اعتذار موسى عليه السلام بالنسيان، فمن جميل خلق الإنسان أن يعفو عن الزلات و يقيل العثرات، فإن ذل الاعتذار عن الزلة يوجب تسكين الغضب عنها.

6. حينما خالف موسى عليه السلام الوعد ونسي ما تعهد به للمرة الثانية، قطع على نفسه الطريق وجعلها آخر فرصة أمامه، فاعترف بخطئه وتحمل تبعاته بحرمان نفسه من الصحبة إن أعاد الكرة، فكان ذلك شافعاً له في قبول اعتذاره.

7. يظهر في قول موسى عليه السلام: ﴿إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦﴾[الكهف:76]، الحكمة والسمو الخلقي، كيف لا؟ وهو الكليم، فقد جعل لصاحبه العذر في ترك المصاحبة في الثالثة إن تعرض للاعتراض، تجنباً للإحراج، وسلوكاً لسبيل الإنصاف.

8. ذهب بعض أهل العلم أن العذر في المرة الأولى يقبل وفي الثانية ينظر فيه، وفي ذلك يقول ابن حجر:" وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية".[1]

---

[1] فتح الباري (8/ 422).

9. من جميل صحبة الأستاذ قبول العذر من الطلاب حتى مع التكرار، وهذا ما كان من الخضر مع موسى عليه السلام.

10. نلحظ في المرة الثانية أن موسى عليه السلام لم يعتذر بالنسيان، وفي ذلك يقول ابن عاشور:" لم يعتذر موسى بالنسيان: إما لأنه لم يكن نسي، ولكنه رجح تغيير المنكر العظيم، وهو قتل النفس بدون موجب، على واجب الوفاء بالالتزام وإما لأنه نسي وأعرض عن الاعتذار بالنسيان لسماجة تكرر الاعتذار به، وعلى الاحتمالين فقد عدل إلى المبادرة باشتراط ما تطمئن إليه نفس صاحبه بأنه إن عاد للسؤال الذي لا يبتغيه صاحبه فقد جعل له أن لا يصاحبه بعده).[1]

11. في قول موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦﴾[الكهف:76]، مدح للخضر بتحمله مرتين، لذا على الإنسان أن يتقن فن الاعتذار، ويبين فضل من جادا عليه بالصفح والغفران.

12. من حق الصحبة أن لا يفارق الرجل أخاه إلا بعد العتاب والاعتذار، يظهر ذلك في مبادرة العبد الصالح بالاعتذار عندما أراد الفراق: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨﴾[الكهف:78]، وفي ذلك يقول السعدي: " أنه ينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال، ويترك صحبته، حتى يعتبه، ويعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى"،[2]فما أحوجنا لتلك المعاني، فقد جاء الاعتذار من العالم للمتعلم، حتى يفترقا و قد زال ما في النفوس و تحقق المطلوب.

13. القصص القرآني وإن كانت تبرز حدثاً معيناً، إلا أن فيها كثيراً من الجزئيات لها ثمرةً ومغزى، وهذا نجده في تكرر الاعتذار في قصص القرآن، ففي قصة موسى و الخضر

---

[1] التحرير والتنوير (16/ 6).

[2] تيسير الكريم الرحمن (ص: 482).

فقط نجد اعتذارين لموسى عليه السلام، ومن ثم قبول العذر من الخضر لموسى عليه السلام في كلتا الحالتين، وتختم القصة باعتذار الخضر لموسى عليه السلام.

14. من أعظم أنواع الاعتذار حدوثه من الأعلى للأدنى، من العالم للمتعلم، من الرئيس للمرؤوس، من الأب لأبنائه ودواليك، ولا يخفى ما لي ذلك من الأثر في تربية النفوس.

المبحث الثاني

اعتذار هارون لموسى عليه السلام

حينما كان موسى عليه السلام بين يدي ربه يكلمه في الطور، أنبأه سبحانه بارتكاسة قومه من بعده، باتخاذهم العجل إلهاً يعبد، فعاد إليهم غضبان أسفاً، يبدو انفعاله في قوله وفعله، فعاتبهم على فعلهم أشد العتب، وألقى ما في يده من ألواح غضباً لله، وأخذ برأس أخيه هارون يجُرّه إليه وهو في ثورة الغضب يعاتبه على ما كان، فاستجاش هارون

في نفس موسى عليه السلام عاطفة الأخوة الرحيمة، ليسكن غضبه، فيستطيع بعدها يقدم اعتذاره ويبين له طبيعة موقفه، وأنه لم يأل جهداً في هداية القوم ونصيحتهم، فقال في سورة طه: ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ٩٤﴾[طه:94]، وقال في سورة الأعراف: ﴿ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾[الأعراف:150].

فاستعطفه بنداء الأمومة،كي يُرعي له سمعه، ثم أبان له عذره وعدم تقصيره في نصحه وإرشاده لقومه: فقد نصحتهم حتى كادوا أن يقتلوني، فلا تفعل بي من المعاتبة والإهانة ما يشمت بي الأعداء، ولا تجعلني مع القوم الظالمين لأنفسهم بعبادة العجل بأن تلزني بهم في قرن من الغضب والمؤاخذة فلست منهم في شيء، وإني خشيت أن أعتزلهم أنا ومن كان معي ممن لم يرض ما فعله القوم، فتقول لي: إنك فرقت بين بني إسرائيل، ولم تتبع ما قلت لك حين دعوتك إلى أن تخلفني فيهم، وأن تصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، فرأيت أن أدع الأمر على ما هو عليه، بعد أن نصحت واجتهدت في النصح، حتى تأتى وتعالج هذا الأمر بما ترى، أو بما يريك الله.

حينها يهدأ موسى عليه السلام ويدعوا لأخيه بالعفو والغفران والرحمة[1]: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾[الأعراف:151].

شذرات في اعتذار هارون لموسى عليهم السلام:

1. مع شدة موسى على هارون عليهما السلام، وما ناله من الغضب، إلا أن حُسن اعتذار هارون امتص غضب موسى عليه السلام.

---

[1] ينظر: جامع البيان (13/128)، تفسير القرآن العظيم (3/477)، الكشف والبيان (4/286)، أضواء البيان (8/78).

2. حينما غضب موسى على هارون عليهما السلام،لم يلقه بالشدّة التي لقيه هو بها، وإنما عرف لأخيه قدره ومقامه، وأنه وزيره، فقال بأدب ولطف: ﴿ ٱبۡنَ أُمَّ١٥٠﴾، فأخذ باستعطافه ليطلق سراح فيبين له اعتذاره، وفي هذا يظهر اللباقة في الاعتذار لأهل الفضل و المقام.

3. نادى هارون شقيقه موسى عليهما السلام(يا ابن أم)، إشارة إلى أنهما من بطن واحد، وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب، ولأنها قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها.

4. نلحظ أن هارون عليه السلام أكد كلامه ب(إن)، لأن التأكيد يستدعي قبول الخبر، وإن كان المخبر لا يظن به الكذب، أو لئلا يظن به أنه توهم ذلك من حال قومه، وكانت حالهم دون ذلك، فأكد الاعتذار لتحقيقه لدى موسى عليه السلام.

5. في قوله: ﴿ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي١٥٠﴾ ، إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إزاحةً لتوهم التقصير في حقه، وفي قوله:﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾، طلب ألحقه باعتذاره لتعلقه به، وهو كناية عن طلب العفو والإعراض عن العقاب، وإزاحة ما يوهم الأعداء بضعفه وعدم رضا موسى عليه السلام عليه.

6. أمام هذه الوداعة والبيان في الاعتذار، هدأت ثائرة موسى عليه السلام، واعتذر لأخيه بالدعاء له، وهنا تظهر دماثة خلق الأنبياء حينما يعتذر النبي للنبي، فيبادره بالاعتذار أيضاً حينما يظهر الحق لديه، فالنفوس الكبيرة لا يمنعها علو المقام من تقديم الاعتذار، وقد رأينا ذلك أيضاً في اعتذار الخضر لموسى عليهما السلام في آخر المطاف.

7. قول موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ

﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾، اغفر لي ما أغلظت عليه به من قول وفعل، و غفر له ما عساه قصر فيه من مؤاخذة القوم، لما توقعه من الإيذاء حتى القتل، وأدخلنا في رحمتك التي وسعت كل شيء بجعلها شاملة لنا مغمورين فيها، وهو أبلغ من (و ارحمنا)، (و أنت أرحم الراحمين) ثناء يدل على مزيد الثقة في الرجاء، و الدعاء في جملته من أقوى وسائل الاعتذار، قال الزمخشري في تعليله:"ليرضي أخاه و يظهر لأهل الشماتة رضاه عنه – فلا تتم لهم شماتتهم – واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه، ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة، وطلب ألا يتفرقا عن رحمته، ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة ".[1]

8. من بديع الاعتذار إضافة الألفاظ والمعاني الجميلة، غير تلك التي تتعلق بمحو الخطأ، فلاعتذار يمحو ما في النفس، والمعاني الأُخرى تزيل تلك الندبات التي أحدثها الخطأ في النفس، كما في دعاء موسى لهارون عليهما السلام.

9. في اعتذار هارون لموسى عليهما السلام قال: ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾، قال ابن عاشور" وهذا اجتهاد منه في سياسة الأمة إذ تعارضت عنده مصلحتان مصلحة حفظ العقيدة ومصلحة حفظ الجامعة من الهرج، وفي أثنائها حفظ الأنفس والأموال والأخوة بين الأمة فرجح الثانية، وإنما رجحها لأنه رآها أدوم فإن مصلحة حفظ العقيدة يستدرك فواتها الوقتي برجوع موسى وإبطاله عبادة العجل حيث جعلوا غاية عكوفهم على العجل برجوع موسى، بخلاف مصلحة حفظ الأنفس والأموال واجتماع الكلمة إذا إنثلمت عسر تداركها".[2]

---

[1] الكشاف (2/ 162).

[2] التحرير والتنوير (16/ 293)، ذكر ابن عاشور هذا الاجتهاد، ثم تعقبه بقوله:" و كان اجتهاده ذلك مرجوحاً لأن حفظ الأصل الأصيل للشريعة أهم من حفظ الأصول المتفرعة عليه، لأن مصلحة صلاح الاعتقاد هي أم المصالح التي بها صلاح الاجتماع، كما بيناه في كتاب (أصول نظام الاجتماع الإسلامي). التحرير و

10. في اعتذار هارون عليه السلام، باستضعاف بني إسرائيل له وخوفه على نفسه من القتل، دليل على جواز الاعتذار عن الأمر بالمعروف على تلك الأحوال، قال الجشمي: "تدل الآية على أن الأمر بالمعروف قد يسقط في حال الخوف على النفس، وفي الحال الذي يعلم أنه لا ينفع، لذلك قال هارون استضعفوني".[1]

المبحث الثالث

اعتذار إخـــوة يوســف

المطلب الأول: اعتذار إخوة يوسف إلى يعقوب في قصة الذئب.

لقد حظي يوسف بحب أبيه يعقوب عليهما السلام، وغاضَ ذلك إخوته، وأكنوا له في أنفسهم الحقد والعداء، وتسلل الشيطان إلى ذلك الحقد، فبدؤوا بالكيد له والتخطيط؛ ليخلوا لهم وجه أبيهم ويكونوا من بعده قوماً صالحين.

فنسجوا خيوط المؤامرة بإقناع أبيهم، بإرسال يوسف يمرح ويلعب وهم له حافظون، على مضضٍ من أبيهم يعقوب عليه السلام، وهنا تتم المؤامرة ويخلو الجو، فيلقوا أخاهم في بئر مهجورة لعل بعض السيارة يلتقطونه، ولكن ماذا عساهم أن يفعلوا بعد هذه الفعلة

التنوير (16/ 294)

[1] تفسير الجشمي بواسطة محاسن التأويل (5/ 188).

الشنيعة، لم يكن أمامهم سوى الاعتذار المزيف المدروس مسبقاً.

فرجعوا إلى أبيهم ليلاً يسبقهم الصراخ والبكاء: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾[يوسف:16]، ففزع يعقوب عليه السلام، وعلم أن هناك خطبٌ جلل فبادروه بالاستعطاف والاعتذار:﴿ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾[يوسف:17].

فوصفوا له الحال، وأبانوا له ما كان، من أكل الذئب لأخيهم من غير كذب أو إهمال، وجاءوا بالأدلة الشاهدة على صدق المقال: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ ١٨﴾[يوسف:18]، وأشعروا أبيهم بعدم تصديقه لهم حتى مع مجيء الأدلة والبيان، لفرط حبه ليوسف، لكن يعقوب عليه السلام أدرك من دلائل الأحوال أنها مكيدةً نُسجت ثم أحكمت بالأدلة الواهية، فواجههم بأن نفوسهم حسَّنت لهم أمراً منكراً وذللته ويسرت لهم ارتكابه، وأنه سيصبر متحملاً متجملاً، لا يفزع ولا يجزع ولا يشكو إلا إلى الله[1]:

﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[يوسف:18].

شذرات في اعتذار إخوة يوسف ليعقوب عليهم السلام:

1. نادوا أبيهم باسم (الأب) المضاف إليهم (يا أبانا) ليرحمهم، فيترك الغضب الداعي إلى تكذيبهم، فهم يحاولون تلطيف الجو الممتلئ بالمخاوف بهذا النداء، ليقدموا بعد ذلك اعتذارهم الكاذب.
2. يبرز القرآن وقت مجيئهم لما فيه من العبرة: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾، فقد رجعوا إلى أبيهم وقت العشاء؛ ليكونوا في الظلمة أجرأ على الاعتذار والكذب، وقد قيل لا

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (9/145)، تفسير القرآن العظيم (4/394)، السراج المنير (2/77)، إرشاد العقل السليم (4/259)، تيسير الكريم الرحمن (1/394).

تطلب الحاجة في الليل فإن الحياء في العينين، ولا تعتذر في النهار من ذنب فتلجج في الاعتذار، وتلك أول أمارات الاعتذار الكاذب، لما توحي به قسمات الوجه وملحاته من صدق الاعتذار و ذبه، وقد يفهم ذلك من العيون خاصة، كما يقال:

و العين تعرف من عين محدثها   إن كان من حزبها أو من أعاديها

3. كاد المريب يقول خذوني، اتهامهم لأنفسهم قبل أن يقول به أحد، نتيجة لما يشعروا به في قرارة أنفسهم بأنهم جاءوا بالكذب والبهتان، وتلك من علامات الاعتذار الكاذب.
4. حبل الكذب قصير والباطل مفضوح مكذوب، فما جاءوا به دليلاً على صدقهم انقلب ضدهم، وانقلب السحر على الساحر، فلو كان الذئب أكل يوسف لكان القميص ممزقاً والدم متغلغلاً في كل قطعة منه، وأنياب الذئب ظاهرةٍ فيه.
5. المبالغة في إخفاء الحقيقة بالأقوال الكاذبة والصور المضللة تجعلها محلاً للشك، وتدفع إلى بذل الجهد لاكتشافها ورفع الغطاء عن أستارها.
6. الاعتذار الكاذب يقدح في المرؤة، فإن المعتذر الكاذب يستغل الظروف ويستجيش العواطف، ويستخدم الأساليب الكاذبة حتى ينجح في الخروج من خطيئته.
7. رد الاعتذار مع وجود القرائن الدالة عليه، فإن يعقوب عليه السلام حينما رأى الحال، وأحس بكذب الأبناء قال: ﴿ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾.
8. الاعتذار الجاهز المسبق لا يقبل و هو تبرير ماكر.
9. سمو خلق يعقوب عليه السلام في رد اعتذار بنيه، فعلى الرغم من صدوره من قلب أب محروق الفؤاد، إلا أننا نجده أهون كلام، وأعف كلام، يمكن أن ينتظر من شخص في هذه الحال، فلم يصرح بكذبهم بل عبر لهم عن ذلك بأوجز وأطهر عبارة، ثم خاطب نفسه بالصبر الجميل على ما حل به، ثم توجه إلى الله عز و جل في طلب العون على ما حدث، و إظهار كذب بنيه، فقد كان واثقاً عليه السلام من كذبهم، مدركاً ذلك من دلائل الحال، فما أحوجنا إلى هذه الحكمة و السمو في رد الاعتذار.

10. لقد كان رد يعقوب عليه السلام موجزاً بليغاً، تمثلت به الصديقة بنت الصديق في اعتذارها في حادثة الإفك حينما قالت:" إني و الله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة، و الله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة لتصدقني، و الله ما أجد لي ولكم مثلا، إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾.[1]

11. تحقق الاعتذار الكاذب لإخوة يوسف عليه السلام، وذلك أنه بعد ما سمعوا كلام أبيهم فيما ادعوه بشأن يوسف تفرقوا وهم سكوت صامتون، فتحقق أنهم غير صادقين في نبئهم.

[1] الحديث: أخرجه البخاري (2661)، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا (3/ 175).

المطلب الثاني: اعتذار امرأة العزيز.

بعد أن كان ما كان من إخوة يوسف عليه السلام ـ كما بيناه في المطلب الذي قبله ـ ، شاء الله أن يتم أمره ويجتبي عبده ويعلي مقامه.

فقد ذهب إخوة يوسف بعد أن ألقوا أخيهم في ظلمة الجب، ولكن رعاية الله لم تذهب عنه، حيث أرسل إليه سبحانه المارة ليخرجوه، ويبيعوه على عزيز مصر، فيخرج من محنة إخوته، ويدخل في بيت العزيز، فيستبشر به ويأمر زوجته بإكرامه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱش تَرَىٰهُ مِن مِّصرَ لِٱمرَأَتِهِۦٓ أَكرِمِي مَثوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَو نَتَّخِذَهُۥ وَلَد ا ٢١﴾[يوسف:21]، فتكرمه تلك المرأة الجرئية ولكن على طريقتها الخاصة، القائمة على الفتنة والمراودة، فيأبى يوسف ذلك الإكرام، ويستعصم بعفته وطهارته مستعيناً بالله: ﴿ وَرَٰوَدَتهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيتِهَا عَن نَّفسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلأَبوَٰبَ وَقَالَت هَيتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحسَنَ مَثوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾[يوسف:23]، ولكنها تصر على ذلك: ﴿ وَلَقَد رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفسِهِۦ فَٱستَعصَمَ وَلَئِن لَّم يَفعَل مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾[يوسف:32]، فيؤثر يوسف السجن على أن يأتي ما حرم الله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدعُونَنِيٓ إِلَيهِ وَإِلَّا تَصرِف عَنِّي كَيدَهُنَّ أَصبُ إِلَيهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلجَٰهِلِينَ ٣٣﴾[يوسف:33]، فيلقى في السجن رغم ظهور نزاهته: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾[يوسف:35]، لحكمة أرادها الله.

وتتوالى السنون والأيام، وتتدثر قضيته، ويضمحل ذكره، حتى يشاء الله أن يخرجه، فيحظى بتفسير رؤيا الملك بعد إعراض حاشيته عن ذلك، ويعجب الملك بذلك التأويل ويأمر بإخراجه، ولكن النفس العزيزة تأبى أن تكون طليقة الملك من غير أن يتحقق عذرها وتظهر براءتها، فيرفض يوسف الخروج حتى ينظر الملك في قضيته، ويأمر الرسول بالرجوع إلى الملك وإخباره بذلك: ﴿وَقَالَ ٱلمَلِكُ ٱئتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرجِع إِلَىٰ رَبِّكَ فَسـَٔلهُ مَا بَالُ ٱلنِّسوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعنَ أَيدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيدِهِنَّ عَلِيم ٥٠﴾[يوسف:50]

وهنا يعيد الملك النظر في القضية يستجوب النساء، فيجبن مجمعات(حاشا لله): ﴿قَالَ مَا خَطبُكُنَّ إِذ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفسِهِۦ قُلنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمنَا عَلَيهِ مِن سُوٓء ٥١﴾[يوسف:51]، تلك الكلمة التي

قلنها يوم أُعجبنا بجماله وبهاء طلعته: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١﴾[يوسف:31]، لكنهنّ اليوم يقلنها إعجاباً بالجانب الخُلقي، وتتفرد امرأة العزيز بالاعتراف، وتتقدم أمام الملك والملأ:﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾[يوسف:51].

اعترفت أن الحق ظهر وأن رغوة الباطل تبددت، وصرحت بالحقيقة وتحملت المسؤولية (أنا راودته)، ولم تكتفي بذلك بل اتبعت اعترافها بالثناء على يوسف والشهادة له بالصدق والنزاهة والطهارة عمّا دنست به عرضه من قبل، وهذا اعترافٌ منها بالحق وإقرارٌ به، فالاعتراف نصف الاعتذار، ثم اتبعت اعترافها بصريح اعتذارها ليوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ٥٢﴾[يوسف:52]، فهي تقر بنزاهته أمام الملك رغم غيابه علّ ذلك يكفر خطيئتها، والله لا يهدي كيد الخائنين، فإنها قد خانته من قبل وأودعته في السجن، وهي تعتذر اليوم عمّا جرى، وعن تسويل نفسها لها، وتتوجه إلى الله بالاستغفار وتطمع في مغفرته ورحمته[1]: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥٣﴾[يوسف:53].

وبهذا تنتهي مرحلة المحنة والبلاء في حياة يوسف عليه السلام، وتبدأ مرحلةالعز والتمكين بتقريب الملك له وتوليته على خزائن مصر، وهذا الاعتذار أول اعتذار يلقى على يوسف في هذه السور.

شذرات في اعتذار امرأة العزيز:

1. الوضوح في الاعتراف ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ ﴾، فهي تصرح بفعل المراودة وتقصرها على نفسها، وتثبت براءة يوسف التامة.
2. إتباعها الاعتراف بصريح الاعتذار: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ٥٢﴾، وهذا ما تحتاجه كثيراً من اعتذاراتنا، فغالباً ما يأتي الاعتذار غامضاً غير صريح، استجابةً ورضوخاً لحظوظ النفس التي ينهكها التصريح بالاعتذار و الأخطاء.

[1] جامع البيان(16/ 140)، النكت والعيون (3/ 47)، مفاتيح الغيب (18/ 466)، الجامع لأحكام القرآن(9/ 208).

3. الشجاعة في التقدم والاعتذار أمام الملك والملأ، والتصريح بجرمها رغم صعوبة الموقف، وما قد يحمله هذا الاعتراف من تبعات على حياتها وعلى مقامها في ظل دائرة الملك، فجرماً ألبسناه بريئاً على ملأ لا بد أن ننزعه منه على ملأ، وفي هذا يقول ابن عاشور: "وفي اعتراف امرأة العزيز بحضرة الملك عبرة بفضيلة الاعتراف بالحق، وتبرئة البريء مما ألصق به".[1]

4. تظهر لهجة الصدق والندم في اعتذارها فهي تعترف بالمراودة ثم تشهد ليوسف بالصدق والنزاهة، ثم تعتذر له عمّا بدر منها، وتبين الأسباب التي أوقعتها في الجرم، وفي ذلك يقول ابن القيم: "هذا من تمام الاعتذار، حيث قرنت الاعتذار بالاعتراف، فقالت ذلك أي قولي هذا و قراري ببراءته: ليعلم أني لم أخنه بالكذب عليه في غيبته، وإن خنته في وجهه في أول الأمر، فالآن يعلم أني لم أخنه في غيبته، ثم اعتذرت عن نفسها بقولها: (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي) ثم ذكرت السبب الذي لأجله لم تبرئ نفسها، وهي أن النفس أمارة بالسوء.

فتأمل ما أعجب أمر هذه المرأة، أقرت بالحق واعتذرت عن محبوبها، ثم اعتذرت عن نفسها، ثم ذكرت السبب الحامل لها على ما فعلت، ثم ختمت ذلك بالطمع في مغفرة الله ورحمته، وأنه إن لم يرحم عبده فهو عرضة للشر".[2]

5. جميل أن نلحق اعتذارنا بالشهادة للمعتذر منه بالنزاهة والصدق، فتلك المعاني كفيلة بأن تمحي ما قد يبقى في النفس بعد الاعتذار، فالاعتذار بمثابة من ينتزع الدُسار من لوح خشبي، وتلك المعاني بمثابة الطلاء الذي يزيل تلك الآثار، حتى تعود النفس صافية خالية من العتب، كما كان من امرأة العزيز حينما وصفت يوسف بأنه من الصادقين، أي: العريقين في هذا الوصف في نسبة المراودة إليّ، وتبرئة نفسه.

---

[1] التحرير والتنوير (13/ 6)

[2] ينظر: التفسير القيم (ص: 331)

6. كان اعتذار امرأة العزيز بعد طلب يوسف من الملك أن ينظر في أمره قبل خروجه من السجن، وفي ذلك إشارة إلى أن الإنسان يطلب ظهور عذره إن لم يظهر، رداً للاعتبار وتبرئةً لساحته عما يقال.

7. وفير أدب يوسف عليه السلام حينما طلب النظر في القضية، حيث لم يصرح بإمرأة العزيز: ﴿ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾، ولا عجب فهو الحليم ابن الحليم عليهم السلام، و هذه لفتةً إلى مراعاة الأدب في طلب الاعتذار، لا سيّما أن ذلك سيترك آثره على المعتذر فيبادر بجميل الاعتذار كما كان من امرأة العزيز.

8. من كمال الاعتذار أن يقرن الاعتذار من المخلوقين بطلب العفو من الله فيما بدر في حق غيره، كما ختمت امرأة العزيز اعتذارها بذلك.

المطلب الثالث: اعتذار إخوة يوسف ليوسف عليه السلام.

بعد أن تولى يوسف عليه السلام خزائن مصر في سنوات الجدب والقحط، استطاع بالتخطيط والتدبير كما أوضحتها الآيات في السورة ـ وسيأتي بيان ذلك في اعتذار إخوة يوسف لأصحاب العير ـ أن يضم إليه أخيه الصغير في مصر، حينها عظم الخطب على يعقوب عليه السلام، وآثار الحزن الجديد ـ فقده لابنه الصغير ـ الحزن القديم، وعلم يعقوب عليه السلام أنَّ أجل الضر دنا، وأمر بنيه بأن يتحسسوا من يوسف وأخيه، وألا ييأسوا من روح الله، ففرجه دائماً منظور، والمؤمنون الموصولة قلوبهم بالله لا ييأسوا من روحه، ولو أحاطة بهم الكروب، وبعد هذا الأمل الذي بثه يعقوب في بنيه خرجوا لطلب الرزق، وتنفيذ ما كلفهم به أبوهم: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾[يوسف:87].

فدخلوا على عزيز مصر بنفوسٍ منكسرةٍ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾[يوسف:88]، فلما انتهى بهم الأمر إلى هذا، رقَّ لهم يوسف رقةً شديدةً، وأفضى لهم بالحقيقة: ﴿ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾[يوسف:89]، سؤال العارف المتجاهل، يريد به عتاباً لا لوماً، واستئناساً لا استيحاشاً، واعتذاراً لهم قبل أن يعتذروا، إذ أضاف ما فعلوه إلى ما كان منهم من جهل، ولو علموا ما وقعوا فيما فعلوا، فهم معذورون إذ كانوا جاهلين، وهكذا بسط لهم جناح الاعتذار والصفح، قبل أن يبادلوه الكلام، فبادله إخوته بالاعتذار: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾[يوسف:91]، ويجيبهم يوسف عليه السلام بما هو معهود من خلقه الكريم: ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾[يوسف:92]، ما أعظمه من عفو خالي من التعيير والتأنيب، ذهب أريجه عطراً مدى الأيام و السنين.[1]

شذرات في اعتذار إخوة يوسف لأخيهم يوسف عليه السلام:

1. عظيم خلق يوسف عليه السلام في إظهار العذر لإخوته عند إبلاغهم بخطئهم، و في هذا يقول ابن جزي:" (إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ) اعتذار عنهم، فيحتمل أن يريد الجهل بقبح ما فعلوه أو جهل الشباب"[2]، و يقول السعدي:" وهذا نوع اعتذار لهم بجهله"[3]، و هذا النوع من الاعتذار نادرٌ و عزيز.

---

[1] ينظر: جامع البيان (16/ 247)، تفسير القرآن العظيم(4/ 408)، بصائر ذوي التمييز (2/ 348)، في ظلال القرآن (4/ 2027)، نظم الدرر (10/ 215).

[2] التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 395)

[3] تيسير الكريم الرحمن (ص: 404)

2. مبادرة إخوة يوسف بالاعتراف والاعتذار، وفي ذلك يقول البقاعي:"(إن)خففوها من الثقيلة تأكيداً للإيجاز للدلالة على الاهتمام بالإبلاغ في الاعتذار في أسرع وقت". [1]

3. اعترافهم بتعمدهم للخطأ(خاطئين) عريقين في الخطأ متعمدين له، يقول السعدي:" وهذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف".[2]

4. تقديمهم للثناء عليه قبل الاعتراف، تهيئةً للنفس في قبول العذر: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾، وذلك بعد ما جحدوا فضله بقولهم: ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾[يوسف:8].

5. تسامي يوسف عليه السلام فوق قبول العذر بالصفح الجميل، الخالي من التعيير والتأنيب، ولسان حاله يقول:

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف

ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف

أبشر بقول الله في آيـــــاته

" إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف"

6. سمح لهم يوسف عليه السلام سماحاً تاماً من غير تعيير، والأعجب من ذلك أنه عندما أسقط حقه عنهم، دعا الله عز وجل أن يسقط الذنب عنهم، فأي خلق هذا، لقد بلغ بهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين.

---

[1] نظم الدرر (10/ 210)

[2] تيسير الكريم الرحمن (ص: 404)

7. لقد آثر يوسف عليه السلام العفو وهو أشد أنواع الانتقام . عند العقلاء . وهو مرارة ساعة، ثم السعادة إلى الأبد، والعدول عن الانتقام إلى الغفران، ولا غرابة فكل مواقفه يتوجها الصفح الكريم، والعفو الذي لا يبارى، قال شاه الكرماني: من نظر إلى الخلق بعين الحق لم يعبأ بمخالفتهم و من نظر إليهم بعينه أفنى أيامه بمخاصمتهم، ألا ترى يوسف عليه السلام لما علم مجاري القضاء كيف عذر اخوته"[1]

8. ما أنسب ما وقع من يوسف عليه السلام بالمراتب الثلاثة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آلعمران:134].

9. لقد نسج يوسف عليه السلام نموذجاً في الاعتذار، لو تأملناه لرسمنا القواعد المثلى و الأولى في الاعتذار وقبوله، ففي اعتذاره عن إخوته المعتدين في حقه درسٌ فريد، وفي قبوله للاعتذار من غير تثريب، ودعائه لإخوته بالعفو و الغفران دروس، ومن اعتبر بذلك حريٌ أن يعزه الله ويسبغ عليه نعمه وخيراته في الدنيا والآخرة.

[1] ....

المطلب الرابع: اعتذار إخوة يوسف لأبيهم يعقوب عليه السلام.

بعد أن انكشف الغطاء بين يوسف وإخوته، وتم الاعتذار واللقاء، سارع يوسف عليه السلام إلى من ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، وأرسل مع إخوته بالقميص لكشف ما غطى قلبه من حزن، فلما خرجت العير من مصر ورجع الأخوة يحملون القميص، قال يعقوب عليه السلام: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤﴾[يوسف:94]، فوقع ما ظنه يعقوب بمن حوله: ﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾[يوسف:95]، لا زلت تائهاً في بحر الحب لا تدري ما تقول.

و لا يعرف الشوق إلا من يكابده   و لا الصبابة إلا من يعنيهـــا

لا تعذل المشتاق في أشواقـــــه   حتى تكون حشاك في أحشائه

فلما أن جاء البشير وألقى القميص على يعقوب عليه السلام ارتدا بصيراً، وقال لمن حوله: ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦﴾[يوسف:96]، ويعتذر الأبناء إلى أبيهم: ﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧﴾[يوسف:97]، ويعدهم يعقوب

عليه السلام بالاستغفار لهم[1]: ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٩٨﴾[يوسف:98].

شذرات في اعتذار إخوة يوسف لأبيهم:

1. لقد أحس إخوة يوسف بعظم الذنب فسارعوا إلى الاعتذار، واسّتهلوا اعتذارهم بنداء الأبوة لتقديم الشفقة على ما سبق منهم من الخطيئة.
2. اعتذروا إلى أبيهم بصيغة التأكيد تحقيقاً لصدق اعتذارهم: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧﴾.
3. لما سأل أبناء يعقوب أبيهم الاستغفار عللوه بالاعتراف، لأن الاعتراف نصف الاعتذار، كما قال النبي صلى الله عليه و سلم: (إن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب تاب الله عليه).[2]
4. اقتصروا في اعتذارهم على طلب الاستغفار، وفي ذلك يقول الألوسي:" و كأنهم كانوا على ثقة من عفوه ولذلك اقتصروا على طلب الاستغفار وأدرجوا ذلك في الاستغفار". [3]
5. قد يلزم الاعتذار من البشر اقترانه بطلب العفو من الله، كما كان من أبناء يعقوب مع أبيهم، وذلك لعظم ما اقترفوه في حق أبيهم، وما نالهم من المأثم من جراء ذلك.
6. وقف إخوة يوسف بين يدي أبيهم نفس الموقف الذي وقفوه بين يدي يوسف عليه السلام، ولقد لقيهم يوسف بالصفح والمغفرة، من غير مهل ولا إبطاء، أما أبوهم

---

[1] ينظر: جامع البيان (16/ 247)، لطائف الإشارات (2/ 207)، محاسن التأويل (6/ 214)، الجامع لأحكام القرآن (9/ 262).

[2] الحديث: أخرجه البخاري (2661)، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا (3/ 175).

[3] روح المعاني (7/ 53)

يعقوب، فإنه لم يلقهم بهذا الصفح وتلك المغفرة من فوره، بل جعل ذلك وعداً مستقبلاً، يجيء على تراخ من الزمن، يقول المراغي: " والفارق بين جواب يعقوب وجواب يوسف من وجوه كثيرة اقتضتها الحكمة:

(1) إن حال أبيهم معهم حال المربّى المرشد للمذنب، لا حال المنتقم الذي يخشى أذاه وليس من حسن التربية ولا من طرق التهذيب أن يريهم أن ذنبهم هيّن لديه حتى يعجّل بإجابة مطلبهم بالاستغفار لهم.

(2) إن ذنبهم لم يكن موجها إليه مباشرة، بل موجه إلى يوسف وأخيه، ثم إليه بالتبع واللزوم، إلا أنه ليس من العدل أن يستغفر لهم إلا بعد أن يعلم حالهم مع يوسف وأخيه، ولم يكن يعقوب قد علم بعفو يوسف عنهم واستغفاره لهم.

(3) إن هذا ذنب كبير وإثم عظيم طال عليه الأمد، وحدثت منه أضرار نفسية وخلقية وأعمال كان لها خطرها، فلا يمّحى إلا بتوبة نصوح تجتث الجذور التي علقت بالأنفس، والأرجاس التي باضت وأفرخت فيها.

فلا يحسن بعدئذ من المربى الحكيم أن يسارع إلى الاستغفار لمقترفها عقب طلبه حتى كأنها من هينات الأمور التي تغفر ببادرة من الندم، ومن ثم تلبّث في الاستغفار لهم إلى أجل، ليعلمهم عظيم جرمهم، ويعلمهم بأنه سوف يتوجه إلى ربه ويطلب لهم الغفران منه بفضله ورحمته".[1]

---

[1] تفسير المراغي (13/ 40)